كُن حسن الظن بربك و اثقاً بالله

🔷 عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ اِبْن مَسعُودٍ - رَضَيَّ اللّٰه عَنهُ - قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم :"مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللّٰهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ، أَلا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا ."

🔶 الواثقون بالله مؤمنون بمقادير الله خيرها وشرها، ويؤمنون أن الأقدار محكمة وجارية بعدل من الله "عدل فيَّ قضاؤك "، قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: "لأن أعض على جمرة حتى تبرد أحب إلي من أقول لشيء قد قضاه الله ليته لم يكن".

🔷 المسلم حسن الظن بربه واثقٌ بالله تعالى مع حسن العمل وبذل الأسباب، منشرح الصدر ، قال ابن عثيمين: "اجعل نفسك دائماً في تفاؤل، والذي يريده الله سيكون".

🔶 المؤمن الصادق والواثق بربه بحق ، سيكرمه الله من فضله بالثبات على الحق في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

🔷 والعبد يُجْزى ويعطى بفضل من الله، ولن يعذب الله عبداً إلا بمعصيته : {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} والله الحكم العدل لا يضيع أجر العاملين قال تعالى: { أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ }

🔶 فلكل منا في الآخرة جزاؤه على قدر طاعته وعمله وصبره وابتلائه، وإن تباينا في الدنيا في أقدارنا

قال تعالى: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}

وقال تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا}

وقال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا}

فالواثقون بالله يؤمنون بأن المقادير خيرها وشرها قدرها الله بعلمه وحكمته وعفوه ورحمته.

قال البخاري: "فالله في ذاته هو الخالق, وحظك واكتسابك من فعلك خلق، لأن كل شيء دون الله يصنعه وهو خلق".

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك".

◆ إن الفوز والنجاة في الآخرة بطاعة الله واتباع النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم أجمعين-.

قال تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} ومن أساء عمله يُجز به قال تعالى: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا }

🔶 العبد المحسن ظنه بالله ،لا ييأس ولا يعجز، كما قال ﷺ: "واستعن بالله ولا تعجز" فهو متفائل منشرح الصدر.

🔷 والواثق بالله سهل هين منطلق الوجه مبتسم يألف ويؤلف قال ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكم بمَن يَحْرُمُ على النَّارِ، وبمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟ على كلِّ قريبٍ هيِّنٍ سهْلٍ" فالنبي ﷺ أوذي من قِبَل أعدائه ولكنه كان دائما مبتسماً: "ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم" وقال ﷺ: "مَنْ كان سهْلًا هيِّنًا لَيِّنًا، حرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ"وقال ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكم بمَن يَحْرُمُ على النَّارِ، وبمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟ على كلِّ قريبٍ هيِّنٍ سهْلٍ". وهو صاحب صبر ورحمة: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}

🔶 فالواثق بالله بحق هو المحسن ظنه بالله -تعالى-، يتوقع الخير من الله، ويتوقع الإحسان من الله، ويتوقع الفضل من الله، ويتوقع الجميل من الله.

قال رسول الله ﷺ: "قال اللهُ تعالى: أنا عند ظنِّ عبدِي بي إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ"

فمن أحسن الظن بالله أسلم أمره إليه وتوكل عليه وبذل الأسباب المشروعة وقال: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

🔷 والمسلم لن يحقق الثقة بالله وحسن الظن بالله -تعالى- إلا باليقين الذي لا يخالطه شك والموجب للعمل.

قال الحسن البصري: "ما أيقن عبد بالجنة حق يقينها، إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتى يأتيه الموت".

🔶 أوجبَ الله على المسلم وجوبا حتميا حسنَ الظنِّ بأخيه المؤمن كما في قوله تعالى: {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} فإذا كان الله قد أخبرنا أن سوء الظَّن بالعبد المؤمن إفكٌ مبين فكيف هو في حق مالك الملك وخالق الخلق ربنا؟!، فاليقين بالله وحسن الظن بالله سبيل النجاة: "ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة" قال تعالى: {فادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} فالإخلاص لله وحده والثقَةُ بِاللهِ والغنى بالله عن كل شيء فيه كفاية للعبد: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}

🔷 من يحقق الإيمان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وهو واثق ومحسن الظنَّ بالله بحق؛ سيهدي الله قلبه: {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} ومن توكل على الله حق توكله فأحسن الظن بالله بحق وبذل الأسباب كُفِي: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}

🔶 والمعتصم بالله الثابت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بحق :هو الواثق بالله وهو المتوكل على الله مع حسن العمل وبذل الأسباب وقلبه ولسانه ناطق بـ(لا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل).

كتبه الشيخ محمد عثمان العنجري

الجمعة 28 يناير 2022

الموافق 25 جمادى الآخرة 1443 هـ